اراء ابن قتيبة وطرق معالجاته

شارك النقاد في تخليص الشعر مما قد يعلق به من العيوب التي تقلل من قيمته الفنية، فحاول أن يبرز العيبوب الشكلية وأثرها في العلاقات الإعرابية وما تحدثه في الأوزان من اختلال يفقد الشعر رونقه وجماله.

كما تحدث عن قيمة اللفظ والمعنى، وقسم الشعر على هذا الأساس إلى أربعة أضرب مقررًا أن ركني الشعر هما اللفظ والمعنى وقد عالجهما مفترنين في النص الأدبي لا يحكم عليه بواحد منهما دون الآخر، غير أن أحكامه في تلك القضية كانت قائمة على أساس منطقي غير فني، لأنه حاول أن يجعل للشعر قواعد مستمدًا حكمه من بيت أو بيتين أو ثلاثة أبيات

كما أراد أن يجعل اللفظ في خدمة المعنى أحيانًا، وذلك في حديثه عن القسم الثاني من أقسام الشعر، حيث حكم على قيمة الشعر من خلال الدلالة المعنوية، دون أن ينظر إلى الركن الثاني الذي يمثله اللفظ، ولذلك تخبط في قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى.

وقد تنبه إلى أن اللفظ والمعنى ليسا كل شيء في الشعر وأن هناك أمورًا أقرب إلى روحه فتحدث عن الوجوه التي يختار عليها الشعر ويحفظ متخذًا الجودة في اللفظ والمعنى أساسًا للمفاضلة بين الشعراء.

غير أنه قد أتي بعوامل وأسباب أخرى لاختيار الشعر غير عامل الجودة في الألفاظ والمعاني وقد فقدت تلك العوامل والأسباب العنصر الموضوعي الذي يبنى عليه الاستحسان والحفظ والاختبار

ثم تناول ابن قتيبة قضية المتكلف والمطبوع من الشعر وبين أمارات الشعر المتكلف فأجاد، وكانت خطوته تلك موفقة تدل على قدرته الأدبية وسعة علمه حيث جعل تلك الأمارات واضحة يعرفها كل من له علاقة بصناعة الشعر، كما أصاب في بيان خصائص الشعر المطبوع، لكنه عندما أراد أن يطبق نقده ومفهومه للشعر المطبوع أخطأه التوفيق ولم يحالفه الحظ حيث أورد أكثر من شاهد دلت على انعدام الذوق في نقده التطبيقي، من ذلك استشهاده بأبيات ابن مطير في وصف المطر ، إذ لم يصدر الشاعر عن ذلك الطبع الذي تحدث عنه ابن قتيبة وبين خصائصه.

وقد حدد ابن قتيبة موقفه من قضية القديم والحديث في الشعر فقرر أنه يقدر الشعر بمقدار بلاغة القول بصرف النظر عن سائر الاعتبارات الأخرى، وكان موقفه في ذلك يتمثل في الانتصاف للحديث من أنصار القديم.

كما أبدى اهتمامه بضرورة التناسب بين أجزاء القصيدة الواحدة مع مراعاة حالات المستمعين النفسية، فالشاعر المجيد من عدل بين أقسام القصيدة "فلم يجعل واحدًا منها أغلب على الشعر ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد .

ولما كانت السرقات الشعرية إحدى قضايا النقد العربي فقد تناولها ابن قتيبة بطريقة تختلف عن منهج معاصريه وطرقهم في بحث تلك القضية، فقد عرضها في ثنايا كتاب الشعر والشعراء عرضًا مقتضبًا دل على ذلك على مدى تقديره لكل معنى مبتكر لم يسبق إليه الشاعر.

وكما تحدث ابن قتيبة عن الشعر تحدث أيضًا عن الشعراء، ونلمس من دراسته للشعراء أنه تناول في تلك الدراسة جانبين مهمين، أولهما الجانب العلمي: حيث ذكر أنه تناول المشهورين من الشعراء "الذين يقع الاحتجاج بشعرهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله - عز وجل - وحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

والجانب الثاني فني يتمثل في ترجمته للشعراء المحدثين الذين لا يقع الاحتجاج بأشعارهم وتقديره الشعر من ناحية جودة الكلام.

وقد اهتم ابن قتيبة بالشاعر وأولاه عناية كبيرة، فعالج ما يحتاجه من ثقافة تمكنه من أن يقف على أرض صلبة في ميدان الشعر وتناول الحديث عن الحالات النفسية للشاعر وأثرها في شعره، وتكلم عن المؤثرات والحوافز التي تدفع الشاعر إلى القول وذكر العوامل التي تعوقه عنه، ونحدث عن علاقة الشاعرية بالأزمنة والأمكنة، وأدرك تفاوت الشعراء في الطاقة الشعرية.

وقد ترجم ابن قتيبة في كتاب "الشعر والشعراء" لعدد كبير من الشعراء وتخللت تلك التراجم مادة نقدية قيمة، فقد علل لبعض الظواهر النقدية التي برزت في شعر الشعراء، وبين بعض الخصائص الفنية التي تتمثل في مناهج الشعراء.